المقدمة وعرض المصادر والمراجع

على الرغم من التدهور السياسي والاقتصادي الذي حل بالعالم الإسلامي في المشرق والمغرب، والتجزئة التي ضربت بلاد الأندلس في أواخر القرن الرابع الهجري (١١م)، وظهور دويلات الطوائف، وانتشار النزاعات والصراعات الداخلية فيما بينهم، وسعي كل فريق منهم إلى الانفراد بالسلطة، ناهيك عن تفاقم الخطر النصراني وتعاظم دور اليهود في كثير من مدن الأندلس؛ إلا أن هذا العصر وعلى النقيض شهد نهضة فكرية نادرة المثال؛ ولم تكن الثقافة الأندلسية يوماً أشد إشعاعاً، وأقوى خصوبة كما كانت عليه في تلك الفترة. فقد أجمع الدارسون على ازدهار الحركة الثقافية في عصر ملوك الطوائف، وذلك راجع إلى تداعيات وظلال العصر السابق، مما يؤكد رؤية الدكتور محمود إسماعيل القائلة بأن " **الظواهر الفكرية في تطورها وفي أفولها تحتاج إلى فترة زمنية طويلة** ".

ولا شك أن دراسة أعمال المؤرخين والمفكرين الرواد تكشف عن وجود رؤى وتصورات وقواعد استنبطوها من خلال معاركة الاشتغال بالتاريخ؛ بحيث يمكن القول بأن كل مؤرخ كان لديه مفهوم عن " **فكرة التاريخ** " انعكس تأثيره علي ما كتب وصنف من أعمال ". كما تكتسب دراسة المؤلفات التاريخية عامة أهميتها من دور المؤرخين في حياة الأمة، ومتابعتهم الوقائع والأحداث، وتسجيل ظواهرها وتطوراتها، ودراسة هذه الشخصيات ومؤلفاتهم تعطينا صورة عن تطور المنهجية التاريخية للمرحلة التي كُتِبَت فيها.

ومن هنا تنبع أهمية دراسة المؤرخين بصفة عامة إلى كون الكتابة فيها تحاول

الوقوف على منهجية البحث لديهم، والعوامل المؤثرة في فكرهم التاريخي ونلمح أثر هذا المنهج بصور مختلفة لدى المؤرخين المسلمين بصفة عامة ومؤرخي عصر ملوك الطوائف بصفة خاصة، وقد تمثل التيار الإبداعى فى الفكر التاريخي فى عدد من المؤرخين النابهين من أتباع مدرسة ابن حَزْم التى جمعت بين العقل والنقل، وبين الرواية والدراية؛ فكان من البديهي أن يزدهر الفكر التاريخي إبان تلك الحقبة التي شهدت **" القرن الذهبي"** في تاريخ الفكر الإسلامي. وخير نموذج يمثل تلك المرحلة هو **" ابن حَيَّان القرطبي "** حامل لواء التاريخ في الأندلس.

وقد دفعنى إلى اختيارهذا الموضوع أنه: لم يفرد له أحد من الباحثين دراسة أكاديمية متكاملة جامعة لأطرافه، منظمة لأبوابه تليق بمؤرخ في حجم ابن حَيَّان خاصة وأن هناك عدة جوانب جديدة وجد هامة تم إضافتها **بعد اكتشاف السفر الثاني** من المقتبس الذي كان مفقوداً لعقود طويلة، وفيه إضافات جديدة ألقت مزيد من الضوء على فكر ابن حَيَّان ومنهجه في الكتابة التاريخية.

وابن حَيَّان يتبوأ مكانة مرموقة بين مفكري الأندلس نتيجة لما أخرجه من تراث تاريخي لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة تاريخ المغرب والأندلس، وهو بلا شك – كما يؤكد دكتورمحمود علي مَكي –: " أعظم مؤرخ أنجبته الأندلس، بل والغرب كله ـ الإسلامي والمسيحى منه على السواء "، وقد أشاد المستشرق الهولندي **دوزي** Dozy (ت ١٨٨٣ م) بصدق الرواية عند ابن حَيَّان؛ ناهيك عن شهادة المؤرخ والفيلسوف **ابن خلدون** (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) في مقدمته فقال أنه: **"قَيَّد شوارد عصره واستوعب أخبار أفقه وقطره"** .

أما عن حظ الموضوع من **الدراسات السابقة**؛ فقد نال ابن حَيَّان اهتماماً كبيراً من المستشرقين وعلى رأسهم **دوزي** الذي فطن مبكراً إلى قيمة ما كتبه ابن حَيَّان، واستعان بمخطوطاته في كتاباته عن تاريخ الأندلس، وقام بإبراز مكانته بين مؤرخي الإسلام، وجاء من بعده المستشرق الإسباني فرانشيسكو **كوديرا** F.Codrea

(ت ١٩١٧ م) الذي نشر بعض الأبحاث استفاد فيها من المقتبس تحت عنوان " **دراسات نقدية حول تاريخ الأندلس** ".

وهناك أيضاً جهود **ملتشور أنطونيا** Antonia (ت ١٩٣٦ م)، الذي يرجع إليه الفضل في نشر أول أثر تاريخي لابن حَيَّان، وقام بإعداد رسالته للدكتوراه حول ابن حَيَّان ومؤلفاته التاريخية، ونشر فصولاً حول هذا الموضوع في مجلة " مدينة الله "Ciudad de Dios " ثم نال درجة الدكتوراه ببحثه هذا في سنة ١٩٣٣ م. وواصل الاهتمام بتاريخ ابن حَيَّان المستشرق الفرنسي **ليفي بروفنسال** Lévi Provençal (ت ١٩٥٦ م) خليفة دوزي، وتابَع عمله في محاولة كتابة تاريخ شامل للأندلس.

وهناك أيضاً دراسة قيمة نشرها **بدرو تشاليتا** taePedro Chalm بعنوان " **الكتابات التاريخية الإسبانية خلال العصور الوسطى: المدونات العربية** " نشرها في مجلة " **الأندلس** " Al-Andalus ، وناقش فيها إنتاج اثنين من كبار مؤرخي الأندلس هما: ابن حَيَّان، وابن عذارى المراكشي (ت٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م). وبالنسبة لابن حَيَّان ناقش قضية تاريخ تأليف "المقتبس " بصورة تفصيلية . وهناك مقال المستشرقة **ماريا خيسوس بيغيرا** rae Vigu، ونشر في مجلة " **القنطرة** " **حول التاريخ الذي كتب فيه ابن حَيَّان** " ومقال آخر لنفس الباحثة بعنوان " **ملاحظات حول ابن حَيَّان** " ونشرته في مجلة " شؤون عربية " والتي تصدرها جامعة الدول العربية في تونس في طبعتها الإسبانية سنة ١٩٨٦ م. كما أن هناك دراسة **ماريا لويسا آبيلا**iAv Maria Lusia la بعنوان " **تاريخ كتابة المقتبس لابن حَيَّان** " rLa Feche de edaccion del Muqtabis وهو منشور في مجلة " القنطرة " المجلد الخامس.

أما الدراسات العربية فكان أهمها على الإطلاق، دراسة الأستاذ الدكتور **محمود علي مَكي** عندما قام بتحقيق كتاب المقتبس – السفر الثاني – سنة ١٩٧٣ م واستعرض فيها قيمة ابن حَيَّان التاريخية ونشأته وشيوخه وأعماله ومنهجه في كتابة التاريخ، ثم تابع الدراسة سنة ٢٠٠٢ م عندما قام بنشر السفر الثاني (الشطر الأول المكتشف حديثاً)، وهناك دراسات متخصصة حول ابن حَيَّان تضمنها عدد **مجلة**

المناهل الذي صدر بمناسبة الندوة العلمية التي عقدت بالرباط عام ١٩٨١ م حول ابن حَيَّان وآثاره التاريخية، وحمل رقم ٢٩، ونعرض باختصار لأهم تلك الأبحاث، ومنها مقال الدكتور **إحسان عباس**، حول " **طريقة ابن حَيَّان في الكتابة التاريخية** " وتعرض فيه لمنهج الكتابة التاريخية عند ابن حَيَّان وتتبع فيه عدداً من النصوص، التي نص ابن حَيَّان في المقتبس على أنه نقلها عن مؤرخين سابقين، مثل ابن الْقُوْطِيَّة، والرَّازي، والزُّبَيْديّ، وابن حَزْم وانتهى من المقابلة بين ما كتبه ابن حَيَّان، وما ورد في أصول هؤلاء المؤرخين إلى نتيجة وهى أن " ابن حَيَّان لم يكن يرى في نفسه محض ناقل عن الآخرين، بل كان له من قدرته على التحليل والأسلوب الجميل، ما يقنعه بأنه لابد من أن يعيد كثيراً مما كتبه غيره، ليكون التاريخ متناسقاً في مستوياته المختلفة ".

ويلي هذا البحث مقال للدكتور **مصطفى الشكعة** بعنوان " **أبو مروان ابن حَيَّان بين الأدب الإبداعي، وأدب كتابة التاريخ** " واستعرض فيه خصائص وأسلوب الكتابة لدى ابن حَيَّان، وأن الكتابة التاريخية لديه قد تحولت إلى أدب متميز. أما دراسة الدكتور محمد مفتاح عن " **منهاجية ابن حَيَّان في تأريخ الأدب ونقده**" وقام بتوجيه النظر إلى التراجم، التي ساقها ابن حَيَّان في تاريخه للشعراء، والأدباء، التي تبدو فيها خصائص الكتابة التاريخية عند ابن حَيَّان.

وهناك دراسة الدكتورة **وداد القاضي** واستعرضت فيه مسألة الفكر السياسي لابن حَيَّان والمهمات التي يجب على الخليفة أن يضطلع بها من وجهة نظر ابن حَيَّان سواء بالنسبة للجهاد ضد العدو الخارجي، أو موقفه من الفتن الداخلية بمختلف أشكالها السياسية والمذهبية.

وهناك دراسة قيمة عن فكر ابن حَيَّان التاريخي للأستاذ الدكتور **محمود إسماعيل** في كتاب " **الفكر التاريخي في بلاد المغرب والأندلس** " وتضمن دراسة تقويمية لفكر ابن حَيَّان ورؤيته التاريخية وما له وما عليه.

هذا وقد واجه الباحث عدة عقبات، أهمها مشكلة صعوبة الرجوع إلى كافة

أعمال ابن حَيَّان لأن أغلبها مفقود مثل كتاب المتين، والدولة العامرية، والبطشة الكبرى؛ فكان على الباحث الرجوع للمصادر التى اعتمدت على تلك الكتب المفقودة من أمثال ابن بَسَّام في الذخيرة والمقري في نفح الطيب والإحاطة لابن الخطيب الخ، وكذلك كانت ترجمة ابن حَيَّان في مؤلفات اللاحقين ترجمة مقتضبة لا تتجاوز الصفحة الواحدة وأغلبهم نقل ممن سبقه، وبالتالى اجتهد الباحث في استنطاق النص.

ولكي يخرج الكتاب بمنهجية واضحة وفق الموضوعات السابقة، فقد ابتعد الباحث عن مجرد السرد التاريخي للحوادث الذي لا يقوم إلا على رص المعلومات بجانب بعضها البعض؛ لذا استخدم قدر الاستطاعة المنهج العلمي من حيث التحليل والتعليل والربط والاستنتاج دون إسراف، والاستناد إلى المصادر الأصلية، وتفنيد بعض الروايات واستخدام بعض المناهج في معالجة الموضوع كل منهج وفق متطلبات فقرات البحث، مثل **المنهج الاستقرائي، وتحليل المضمون** عن طريق استيعاب نصوص ابن حَيَّان ثم تحليلها ووضع افتراضات حولها بحثاً عن حلول لإشكاليات متناثرة فكان أن استعنا بالمنهج **التفكيكي – التركيبي** للنص بحثاً عن الجوانب الدلالية الشمولية لحل تلك الإشكاليات التي واجهت البحث، كما تم الاستعانة أيضا **بالمنهج الإحصائي** عند إحصاء نسبة اعتماد ابن حَيَّان في كتاباته على عدد من المؤرخين ثم عند إحصاء عدد مرات نقل ابن حَيَّان من هؤلاء المؤرخين وذلك حتى لا يكون العمل مجرد عمل توصيفي بحت بل عمل معرفي قائم على الاستقراء والتحليل والتفسير.

وقد جاء هيكل البحث مقسماً إلى **مقدمة وخمسة فصول، ثم خاتمة؛ فالمقدمة** اشتملت على خطة البحث والمنهج الذي سلكه الباحث في معالجة الكتاب وتعرض بإيجاز لأهمية دراسة المؤرخين وأهمية الموضوع وأسباب اختياره وعرض للمصادر والمراجع الخاصة بالكتاب.

وتناول **الفصل الأول " العوامل المؤثرة في فكر ابن حَيَّان التاريخي "** والتي تركت

أثارها على منهجه، فتعرض الباحث لأحوال المجتمع الأندلسي فترة حياة ابن حَيَّان؛ ومدى اضطراب ذلك العصر الحافل بالتناقضات، وانعكاس ذلك على فكره وخبرته التاريخية؛ حيث رصد وبدقة مرحلة الفتن والاضطرابات المتتالية في الأندلس، وكون لديه رؤية واعية تجاه أحداث مجتمعه، وعبر عما حدث في هذا المجتمع من جوانب استحقت النقد؛ لذا تعرض في كتاباته إلى نقد مظاهر الفوضى والتفكك في الأندلس.

كما أوضح الباحث – في نفس الفصل – أثر نشأته في بيئة علمية أثرت في توجيهه الفكري، بالإضافة إلى وثائق وقع عليها بحكم نشأته في أسرة قريبة من بلاط الخلافة، ووظيفة لم تكن عائقاً لموهبته وجعلته يمضي في كتابة تاريخه الكبير. واختتم الباحث الفصل بتحليل الانتماء المذهبي لابن حَيَّان وتعصبه للمذهب السني المالكي – وهو المذهب الرسمي للدولة – وانعكاس ذلك بوضوح على كتاباته ويظهر ذلك في هجومه الشديد على أتباع المذاهب الأخرى.

ثم جاء **الفصل الثاني** للدراسة بعنوان " **مؤلفات ابن حَيَّان (التصنيف والمحتوى)**، وتم التركيز على مصنفات ابن حَيَّان المطبوعة والمتناثرة بين ثنايا الكتب، وتم استعراض محتوى تلك الأعمال من مختلف الجوانب حيث اشتملت على جوانب عديدة، سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية. وكتبه في هذا المجال هي: **"المقتبس"**، و**"المتين"** و**"أخبار الدولة العامرية"**، و**"البطشة الكبرى"** ومجموع هذه الكتب يشكل ما يطلق عليه اسم " **التاريخ الكبير**" لابن حَيَّان.

وتم استنتاج عدة ملاحظات حول أعماله من حيث أنه " أرخ للعدوتين الأندلس والمغرب تأريخا شاملاً مؤسساً على الاهتمام بالأخبار بالدرجة الأولى خاصة في كتابه "المقتبس"، ولم يحاول لسبب أو لآخر أن يكتب في تاريخ أي قطر من أقطار العالم الإسلامي، وإنما قَصَرْ نشاطه العلمي على العدوتين – المغرب والأندلس –، والملاحظة الأخرى أنه ركّز بصفة خاصة على قُرْطُبَة التي كان يعتد بها أشد الاعتداد، متخذاً من ولاءه لبني أُمَيّة منطلقاً أساسياً في كتاباته؛ مما أدى ذلك إلى

تسفيه خصومهم في الداخل والخارج . وملاحظة أخرى تم رصدها من العديد من مفرداته وهي تعدد مجالات المعرفة الاجتماعية والثقافية التي طرقها ابن حَيَّان وعكست لنا ألواناً من الحياة الأندلسية الاجتماعية والثقافية؛ فنراه يرصد العديد من الظواهر الاجتماعية عندما يصور شرائح المجتمع بما فيها من صور الوشاية، والذم، والمكائد، وفساد القضاة، كما عكس الصراع الذي كان يدور بين الفقهاء والخليفة وأوضحت أيضاً مدى اهتمامه بالجانب الاقتصادي من خلال تعدد مفردات مثل " **دار السكة** " و" **دار الضرب** " و" **خالص الذهب والفضة** "، و" **قبض الجباية** "، و" **تدليس العملة** " الخ.

أما **الفصل الثالث**، فقد خُصِص لدراسة **المرجعية التاريخية لابن حَيَّان** وكيف استند في تاريخه إلى مرجعيات عدة منها: " **المشاهدات العيانية** " خاصة وأن عصره كان زاخراً بالأحداث التى تستحق الرصد والتسجيل، واعتمد كذلك على "**الروايات الشفوية**" التى أخذها عن مقربيه ومكاتبيه، وهم أشخاص توافرت لديهم المعرفة بالحدث والثقة فيما يوردون من أخبار؛ فدوّن الكثير برواية هؤلاء كما استند أيضاً إلى "**الوثائق الرسمية**"، التى اطلع عليها بحكم نشأته في أسرة مقربة من بلاط الخلافة، أو أَطْلَعهُ عليها والده حيث كان كاتباً ووزيراً مقرباً للعامريين، وهى وثائق يندر وجودها في مصادر أخرى وتغطى مساحة مهمة من التاريخ السياسى والاقتصادي والاجتماعى لبلاد الأندلس، كما استند إلى **آثار من تقدمه من الإخباريين** والمؤرخين. وقام بنقل مؤلفات هى الآن في عداد المفقود من التراث الأندلسى، وكان في المقتبس أكثر اعتماده على الكتب والنقل منها. وكان ابن حَيَّان قد عرف كيف يستفيد من جميع الكتب السابقة ذات القيمة التاريخية؛ ولذا اجتهد في أن يجمع أكبر عدد من المصادر التى تنوعت بتنوع الموضوعات التى عالجها في تاريخه الكبير منذ الفتح الإسلامى للأندلس حتى عصره.

وجاء **الفصل الرابع** ليعرض فيه الباحث " **منهج الكتابة التاريخية عند ابن حَيَّان** "، مستعرضاً في البداية تطور الكتابة التاريخية في الأندلس ومنهج المؤرخين في

تناول موضوعات التاريخ المختلفة حتى عصر ابن حَيَّان حيث تنوعت أصناف الكتابة وتعددت الموضوعات؛ لذا كان من البديهى أن تتنوع مناهج المؤرخين التى طبقوها في دراسة التاريخ، وكان لكل مؤرخ طريقته في التأريخ، وأسلوب يكاد يلازمه في كل ما يكتبه. ثم تعرض بالتفصيل لمنهج الكتابة لديه موضحا كافة المناهج التى اتبعها وكيف استفاد من المناهج التى عرفها مع التركيز على المنهجين الحولى والموضوعى، ورأى أن يجمع بينها وأن يستفيد منها كل ذلك مع الاستشهاد بنصوص ابن حَيَّان، وتم رصد قيمة المنهج الذي اتبعه وخلو إنتاجه من التفسيرات الخرافية والأساطير؛ ثم استعرض الباحث خصائص وأسلوب الكتابة التاريخية عنده، وكيف كان أسلوبه يمتاز بالسهولة والوضوح والتعبير الدقيق عن الحقائق، وقوة التدليل والتفسير والتعليل، وامتاز بترابط الفكرة، وتخير المفردات والتراكيب العربية السليمة، وتخلص من قيود السجع ومحسنات البديع المتكلفة، وتدلنا كتاباته التاريخية على أدبه الرفيع مع التزام الدقة والأمانة التاريخية.

ثم جاء **الفصل الخامس** والأخير فكان بعنوان " **ابن حَيَّان مفسراً للتاريخ** " وبدأ بعرض **تعدد غايات** المؤرخين في عصر ابن حَيَّان، وتنوع أهدافهم ثم حدد مقاصد وغايات ابن حَيَّان التي شرحها في كتاباته ثم استعرض التفسير والموضوعية عنده حيث فطن إلى أهمية التفسير والتعليل في مجال كتابة التاريخ؛ وذكر السبب بالحدث قد استمد تفسيراته من الاستقراء الواعي للأحداث حيث قام بتعليل وتفسير العديد من الأحداث، وقد عول في تفسيره على عدة محاور منها: التعويل على **العقل والاستقراء** الواعي للأحداث، وكذلك على **البعد المذهبي**، ونراه أيضاً يعول على **التفسير الإثني أو العرقي**، كما استند في تفسيراته على البعدين الديني والأخلاقي، وقام الباحث باستعراض ذلك بالتفصيل.

وأوضح أيضاً كيف ارتبط التفسير في أغلب الأحوال بالموضوعية؛ فالمؤرخ الموضوعي هو ذلك المؤرخ الذي يذكر الحقائق وحدها بعيدا عن الأهواء والمصالح الشخصية قدر المستطاع، متجنباً الأكاذيب والشائعات، وهي صفة المؤرخ الذي

تتسم أعماله بالدقة والأمانة البحثية، ولا يلجأ إلى تغليب نظرته أو رؤاه الشخصية على تلك الأحداث. ولذا استعرض الباحث أيضاً وبتفصيل مدى موضوعية ابن حَيَّان في كتاباته التاريخية.

وأخيراً ضمنت **خاتمة الدراسة** النتائج التى توصل إليها الباحث، واختتم البحث بأهم المصادر والمراجع العربية والأجنبية التى أعانت الباحث في انجاز هذا الكتاب.

هذا ولم تكن الدراسة لتستقيم إلا بعد اعتماد الباحث على **العديد من المصادر والمراجع العربية والمعربة والأجنبية**؛ فبالنسبة للمصادر فقد تنوعت ما بين الكتب التاريخية، وكتب التراجم، والطبقات، والأنساب، وكتب الأدب، الجغرافيا، بل والفقه والنوازل.

وقد اعتمدت – **بالدرجة الأولى** – في هذه الدراسة على تراث ابن حَيَّان المطبوع والمخطوط، والمتناثر بين ثنايا الكتب خاصة كتابي " **المقتبس** " و" **المتين** "، وصاحبتنى أعماله من أول الدراسة حتى آخرها، وأفادتنى إفادة جمة في كافة فصول الدراسة خاصة عند الحديث عن العوامل المؤثرة في فكره التاريخى ومنهج الكتابة لديه؛ ناهيك عن التصنيف والمحتوى لمؤلفاته، حيث استوعب كتاب المقتبس ثم المتين مختلف الموضوعات، وفيهما أرخ لتاريخ وحضارة الأندلس والمغرب واعتمد على العديد من المصادر وأغلبها مفقود حتى الآن؛ مما يزيد من قيمة أعماله.

وقد أفادت نصوص كتاب **المتين** المتناثرة في ثنايا المؤلفات الباحث أيما إفادة عند الحديث عن موضوعية ابن حَيَّان، وأمدته بمادة غزيرة أعانته على إثبات مدى دقة ابن حَيَّان باعتباره شاهد عيان على الأحداث حيث عرض فيه ما شاهده بعينى رأسه، وما قد عايشه بنفسه. فكان أن سمى تأريخه بـ " **المتين** " ربما إشارة دلالية باستيثاقة مما دون من مشاهداته؛ فنجده يعتمد في تأريخه إلى مشاهداته المباشرة كما أبرز الكتاب روح النقد لديه حيث كان شاهد عيان على الوضع السياسي المتردي

لملوك الطوائف وسجل فيه انتقادات لاذعة أشار إليها الباحث عند الحديث عن الموضوعية في كتاباته.

وقد استفاد الباحث إفادة جمة من سائر الكتب التى تناولت تراث ابن حَيَّان ونقلت عنه، ومن أهمها: كتاب " **الذخيرة** " **لابن بَسَّام الشَنْتَرِينى**(ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٨ م)، والذي يعتبر خير من احتفظ لنا بأطول نصوص ابن حَيَّان في المتين مع الحرص الدقيق على بداية نقله عن هذا المؤرخ ونهايته، وقد أَرّخ فيه لملوك الطوائف في الأندلس، وألقى الضوء على منهجية وأسلوب ابن حَيَّان في كتابة التاريخ، ولولا كتاب الذخيرة لفقدنا تلك النصوص على الإجمال.

ومن الكتب التاريخية التى اعتمد عليها البحث بشكل كبير كتاب **البيان المُغْرب لابن عذارى** (ت ٧١٢هـ/ ١٣١٢ م)، وكان منها نصوص من كتب مفقودة حتى الآن أشار ابن عذاري في مقدمة كتابه في الجزء الأول إلى اعتماده على ابن حَيَّان، وحدد ذلك بالقول إنه نقل من " **أخبار الدولة العامرية** " لابن حَيَّان، وهو كتاب مفقود حتى الآن، وتتميز نقولات ابن عذاري من كتاب أخبار الدولة العامرية بأنها تعتمد الرواة الذين أخذ منهم ابن حَيَّان، ولاسيما في عصر عبد الملك المُظَفَّر، وأخيه عبد الرحمن شنجول مما ألقى الضوء على رؤية ووجهات نظر ابن حَيَّان في تلك الفترة الحاسمة في تاريخ الأندلس.

وهناك كتاب ابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) **"الإحاطة في أخبار غَرْناطة"**؛ حيث نقل معلومات قيمة عن تاريخ ابن حَيَّان مفقودة حتى الآن منها ترجمة للمنصور بن أبى عامر، نص فيها على أنه ينقلها عن " **المؤرخ في الدولة العامرية** ".

أما كتاب **نفح الطيب للمقرى** (ت ١٠٤١هـ/ 1631 م) فقد ألقى الضوء على اهتمامات ابن حَيَّان الجغرافية والأثارية، وذلك لما أورده من كتاباته عن قُرْطُبَة وشهرتها وجامعها الكبير، والقنطرة المعروفة بالجسر الخ، كما أفاد الكتاب الباحث في توضيح منهج ابن حَيَّان في التمحيص عندما نقل عنه تفنيد خرافة المائدة المنسوبة

لسليمان عليه السلام، كما كان المقري من القلائل الذين أشاروا إلى وظيفة ابن حَيَّان وتقلده منصب صاحب الشرطة ناهيك عن شهادته التى دعمت فكرة موضوعية ابن حَيَّان عندما شهد له بالثقة والموضوعية ووصفه بقوله " **مؤرخ الأندلس الثبت الثقة، أبو مروان ابن حَيَّان** ".

ومن المصادر المهمة كتاب **ابن الأَبَّار** (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م) " **الحُلة السِّيَراء** " حيث أورد عن ابن حَيَّان نصوصا مفقودة من " **الدولة العامرية** " أيضاً أهمها ذكر غزوة المنصور ابن أبي عامر إلى برشلونة، كما قدم فيه ترجمات لبعض مؤرخي العصر وشيوخ ابن حَيَّان أيضاً مما أفاد البحث كثيراً.

أما **المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي** (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩) فقد أفاد منه الباحث فيما يتعلق بسيرة الحاجب المنصور وشخصيته العلمية، وألقت الضوء على تكوين ابن حَيَّان الفكري نظراً لقرب والده من بلاط المنصور وأطلق على كتاب ابن حَيَّان اسم " **المآثر العامرية** ".

وهناك **المُغرب في حُلَى المَغرب** لابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) فقد أفاد منه الباحث فيما يختص ببعض التراجم، وكذلك علاقة والده الوثيقة بالمنصور العامري، كما أفاد البحث عندما تعرض لترجمة المُسْتَكْفي محمد بن عبد الرحمن الناصر، وأظهر منهج ابن حَيَّان النقدي ومدى موضوعيته التاريخية بالإضافة إلى ما أشار إليه ابن سعيد من أن المتين يذكر فيه ابن حَيَّان أخبار عصره ويمعن فيها مما شاهده، وهو ما أفاد الباحث عند الحديث عن المشاهدة والعيان في كتابة تاريخه الكبير.

ومن الكتب التاريخية التي اعتمد عليها البحث بشكل كبير **كتاب الصّلة لابن بَشْكُوَال** Ibn Pascual (ت ٥٧٨ هـ ١١٨٣ م): أقدم مترجم لابن حَيَّان، وقد احتفظ لنا بنسبه كاملاً مكتوباً بخط ابن حَيَّان نفسه، كما قدم ترجمات لمعظم شيوخه ومؤرخي عصره مما أفاد في الحديث عن المكانة العلمية لهم ووظائفهم ومدى تأثيرهم في ثقافة ابن حَيَّان التاريخية، ويعد الكتاب من أهم كتب التراجم وأعظمها

فائدة وتبرز أهمية الكتاب في أن مؤلفه كان كثيرا ما يتقصى سير بعض العلماء فيأتي بمعلومات قيمة توضح لنا ما كان عليه المجتمع الأندلسي من علم ومعرفة.

كما أمدت كتب **ابن الفَرَضي (ت ٤٠٣ هـ - ١٠١٢م)**، وأهمها كتاب " **تاريخ العلماء والرواة بالأندلس**، الباحث بالمعلومات الوفيرة التي جمعها ليرسم بها صورة للنشاط الثقافي في الأندلس كما استفاد الباحث منه في بعض جوانب البحث لأنه يضم تراجم عديدة لعلماء الأندلس الذين أثروا في تكوين فكر ابن حيان أيضاً وألقت القى الضوءعلى جوانب ثقافية متعددة، وتبرز أهمية الكتاب في معاصرة المؤلف للكثير من العلماء الذين ترجم لهم، كما أوضح الكتاب مسألة ابن مسرة، وموقف الناس منه ورأي ابن حَيَّان في سيرته ناهيك عن إلقاء الضوء على التطور لذي حدث في كتابة التراجم في الأندلس وهو ما أوردناه في مسألة " تطور الكتابة التاريخية قبل عصر ابن حَيَّان.

وقد استفاد الباحث من كتاب أبي رفيع المستوى وهو **الفصوص** لصاعد البغدادي (ت ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م) - تحقيق عبد الهادي التازي -حيث ألقى الضوء على سيرة الأديب صاعد وحياته العلمية باعتباره أحد أهم المؤثرين في شخصية ابن حَيَّان الأدبية وقد أكد تلمذته المباشرة لصاعد وسماعه منه كتاب الفصوص.

ومن المصادر ذات الصبغة التاريخية التى أفادت الباحث كتاب " **ذكر بلاد الأندلس** " (لمؤلف مجهول، يُرَجَح أنه عاش في أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)، وفيه عدد من النصوص المأخوذة عن ابن حَيَّان، وألقت الضوء على اهتماماته الجغرافية عندما نقل عنه معلومات عن موقع الأندلس من الأقاليم الرابع والخامس والسادس منها، ووصف موجز لقُرْطُبَة وحديث عن فضائلها كما نقل عنه الخبر عن الدولة العامرية.

أما كتاب **تاريخ افتتاح الأندلس** لابن الْقُوْطِيَّة (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) فقد أفاد الباحث عند التعرض لمسألة تطور الكتابة التاريخية في الأندلس وكتابة الفتوح كما

ورد في هذا الكتاب أيضاً معلومات مفيدة تتعلق ببعض الأحداث السياسية إلتي انتقدها ابن حَيَّان مثال قصة طَرُوب والفتى نصر الخَصيِّ.

أما كتاب **فهرس ابن عطية** لابن عطية المُحاربيّ (٤٨١ – ٥٤١هـ / ١٠٨٨ – ١١٤٦م) فقد كشف عن جانب من جوانب ثقافة ابن حَيَّان من خلال تأكيد إجازته لكتاب الفصوص، وأخذها ابن حَيَّان عن صاعد نفسه وروايته له. أما كتاب **المرقبة العليا للنُبَاهى** (ت بعد ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م) فقد أفادت الباحث في التعرف على الوظائف التى شغلها بعض مؤرخى العصر.

وهناك كتبا أفادت في الحديث عن بواكير الكتابة التاريخية في الأندلس من أهمها كتاب " **التاريخ**" لعبد الملك بن حبيب، و" **قُضَاة قُرْطُبَة** " للخُشَنِيُّ ، و كتاب " **تاريخ علماء الأندلس** " لـ ابن الفَرَضِى، وكتاب " **تاريخ افتتاح الأندلس** " لابن الْقُوْطِيَّة الخ.

أما بالنسبة **للمراجع والدراسات الحديثة** فقد أفادت الباحث إفادة كبيرة، وكان أبرزها على الإطلاق، دراسة الأستاذ الدكتور محمود علي مَكي – عاشق ابن حَيَّان – وقدم فيها دراسة قيمة للغاية وتؤكد في نفس الوقت على ضرورة إفراد رسالة أكاديمية متخصصة لابن حَيَّان كمؤرخ.

ومن هذه الدراسات أيضاً مقال الدكتور إحسان عباس، بعنوان " **ابن حَيَّان الأندلسي مؤرخ الجماعة** "، وأفادت البحث إفادة جمة عند الحديث عن خصائص الكتابة التاريخية عند ابن حَيَّان، وجعلته يركز على القاعدة التي يرتكز عليها الفكر التاريخي عند ابن حَيَّان، وهى الاعتداد بالجماعة التي يقصد بها وحدة الأندلس، التي مزقتها الفتنة البربرية، وترتب عليها تمزق الأندلس إلى دويلات صغيرة، وهو ما رأى فيه ابن حَيَّان على المدى البعيد، انهيار الكيان الأندلسي كله، وانعس ذلك بالضرورة على أحكامه النقدية في أحداث التاريخ بل والأدب والشعر.

ومن تلك الدراسات المهمة التي شكلت الرؤية المنهجية للبحث مشروع الأستاذ الدكتور **محمود إسماعيل عبد الرازق " سوسيولوجيا الفكر الإسلامي "** لاسيما

الجزء الخاص بالفكر التاريخي، طور الازدهار، وهو ما أماط اللثام عن الكثير من الأمور الغامضة حول الدراسة، وزود الباحث بمعلومات وفيرة عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذلك تحليل ورصد الظواهر التاريخية التي تعرض لها ابن حَيَّان، ومن الكتب المهمة أيضاً " **الأدارسة**، حقائق جديدة، للدكتور محمود إسماعيل أيضاً، والكتاب أفاد الباحث إفادة جمة حيث قدم دراسة جديدة ووافية لتاريخ الأدارسة استفاد الباحث من التحليل الذي كتبه عن رؤية ابن حَيَّان تجاه الأحداث، وقدم معلومات جديدة وثرية عن عصر الأدارسة الأواخر الذي كان شبه مجهول، كما استفاد منها في معرفة أوضاع المغرب الأقصى في عهود الأدارسة الأواخر وعلاقتهم بالفاطميين وأمويي الأندلس.

وكذلك هناك كتاب " **إشكالية المنهج في دراسة التراث** " وفيه تعرض بإسهاب واضح ورؤية عميقة لابن حَزْم ومدرسته وجدل الفقه والتاريخ، وكان ابن حَزْم من معاصري ابن حَيَّان وصديق له بل واشتركا معاً في خدمة مشروع سياسي اقتصادي اجتماعي نهضوي، استهدف تحقيق وحدة الأندلس تحت راية " أموية " وإصلاح ما أفسده الدهر بعد تشرذم الأندلس في عصر ملوك الطوائف.

واستفاد الباحث من كُتَيب صغير الحجم عظيم الفائدة وهو الفكر التاريخي في المغرب والأندلس، ومكن الباحث من التعرض إلى تطور الفكر التاريخي في الأندلس برؤية جديدة للدكتور محمود إسماعيل.

ومن الكتب التي أفادت البحث افادة جمة وأثرته بمجموعة من الأفكار المتميزة كتاب " **الحروب الصليبية في الأندلس** " للأستاذ الدكتور **عبد المحسن طه رمضان** وامتاز بدراسة نقدية وافية عن مصادر ومراجع تاريخ الأندلس كشف فيها عن اطلاع ابن حَيَّان الوثيق بتاريخ الأندلس الإسلامية بل وتاريخ الممالك المسيحية أيضاً، مما يرجح أنه كان يعرف عجمية الأندلس وأن " ما أورده ابن حَيَّان من أخبار عن أسبانيا المسيحية بما فيها أشتوريس وبمبلونه ينم عن معرفته الدقيقة بكل أحوالها وأنساب حكامها، أكثر من مؤرخي عصره من المسيحيين

وهناك بحث للدكتور إحسان عباس الذي نشره في مجلة المناهل عدد ٢٩، حول " **طريقة ابن حَيَّان في الكتابة التاريخية** " وأفاد البحث كثيرا في الفصل الخاص بمنهج الكتابة التاريخية عند ابن حَيَّان خاصة في الجزء الذي تتبع فيه عدداً من النصوص، التي نص ابن حَيَّان في " المقتبس " على أنه نقلها عن مؤرخين سابقين، مثل ابن الْقُوْطِيَّة، والرَّازي، والزُّبَيْدِيّ، وابن حَزْم، وانتهى من المقابلة بين ما كتبه ابن حَيَّان، وما ورد في أصول هؤلاء المؤرخين إلى نتيجة وهى أن " ابن حَيَّان لم يكن يرى في نفسه محض ناقل عن الآخرين، بل كان له من قدرته على التحليل والأسلوب الجميل، ما يقنعه بأنه لابد من أن يعيد كثيراً مما كتبه غيره، ليكون التاريخ متناسقاً في مستوياته المختلفة ".

وكذلك مقال الدكتور مصطفى الشكعة في نفس العدد بعنوان " **ابن حَيَّان بين الأدب الإبداعي، وأدب كتابة التاريخ** " وأفاد الباحث في مسألة خصائص وأسلوب الكتابة لدى ابن حَيَّان وأن الكتابة التاريخية عنده تحولت إلى أدب متميز، أما دراسة الدكتور محمد مفتاح عن " **منهاجية ابن حَيَّان في تأريخ الأدب ونقده**" فقد أفادت الباحث في توجيه النظر إلى التراجم، التي ساقها ابن حَيَّان في تأريخه للشعراء، والأدباء، التي تبدو فيها خصائص الكتابة التاريخية عند ابن حَيَّان .

وهناك دراسة الدكتورة وداد القاضي، وأفادت الدراسة في مسألة الفكر السياسي لابن حَيَّان، والمهمات التي يجب على الخليفة أن يضطلع بها من وجهة نظره، سواء بالنسبة للجهاد ضد العدو الخارجي، أو موقفه من الفتن الداخلية بمختلف أشكالها السياسية والمذهبية. وكانت الفائدة الجليلة من كتاب " **تاريخ الفكر الأندلسي** " لآنخل بالنثيا - ترجمة حُسَين مؤنس - خاصة عند دراسته النقدية لكتب التاريخ العام، ومؤرخي عصر الطوائف، وعلى رأسهم ابن حَيَّان وأفاد الدراسة عند التعرض لحياته ومؤلفاته التاريخية.

كما كان لكتاب " **مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي** " لخالد الصمدي فوائد متعددة حيث ساعد على شرح الوضع المذهبي في الأندلس ومدى تعصب ابن

حَيَّان للمذهب السني المالكي الذي دخل إلى الأندلس في حياة الإمام مالك نفسه، وذلك بفضل من درسوا عليه من تلاميذه الأندلسيين ونقلوا كتابه " الموطأ"، وهم على التوالي **الغازي بن قيس** (ت ١٩٩ هـ / ٨١٤ م)، وزياد بن عبد الرحمن اللخمي الملقب **بشبطون** (ت٢٠٤ هـ / ٨١٩ م)، وهو أول من أدخل مذهبه فى الأندلس، ويَحْيىَ بن يَحْيىَ اللَّيْثِي (ت٢٣٤هـ / ٨٤٨ م) ومساهمات غيره من الفقهاء.

وكذلك استفاد الباحث من كتب كثيرة في شتى أنحاء لرسالة ساعدته على فهم بعض النواحي السياسية والحضارية والاقتصادية والاجتماعية التي عاشها بن حيان وتعرض لها في كتاباته منها كتاب **إبراهيم القادري بوتشيش**: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، وأيضا كتابه المغرب والأندلس في عصر المرابطين، وكتاب **أحمد بدر**: دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها. وكتاب إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي " عصر الطوائف والمرابطين، وكتاب **السيد عبدالعزيز سالم**: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، وكتاب **اوليفيا كونستبل**: التجارة والتجار في الأندلس، وكتاب **حسن على حسن**، الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، وكتاب **حُسَين مؤنس**: الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، وشيوخ العصر في الأندلس.

وقد خُتِم البحث بالحديث عن أثر ابن حَيَّان في التاريخ والفكر الأندلسي وأتبعنا ذلك بملاحق توضح مدى تأثير ابن حَيَّان في المؤرخين اللاحقين ورأيهم فيه واعتباره بحق " **حامل لواء التاريخ في الأندلس** ".

وبعد،،،، فقد قدم ابن حَيَّان للأندلس والمغرب خدمات جليلة من أهمها أن التاريخ الأندلسى حُرِمَ من كتاب يعنى بتأريخ أحداثه السنوية إلا كتاب المقتبس لابن حَيَّان وأمدنا كتابه بمادة تاريخية وفيرة حول الأندلس ومؤرخيها الأوائل من خلال اعتناء ابن حَيَّان بالإسناد وقد أكدت الدراسة أن ابن حَيَّان من أكثر المؤرخين الأندلسيين اعتناء بتاريخ الأندلس وأن كتاباته كتبت كلها في تاريخ الأندلس، ولم

يحاول لسبب أو لآخر أن يكتب في تاريخ أي قطر من أقطار العالم الإسلامى، وإنما قَصَرْ نشاطه العلمي على الأندلس والمغرب.

وطمح الكتاب إلى أن يكون مفتاحاً لدراسات أخرى عن هذا المؤرخ، من أهمها وربما أكثرها قرباً من شخصية ابن حَيَّان موضوع " **النقد الاجتماعي عند ابن حَيَّان** "؛ والدراسة تفتح المجال أمام الدارسين للخوض في عدة محاور منها: دور العوامل الاجتماعية والاقتصادية في تشكيل الوعي التاريخي لدى أغلب المؤرخين، وكذلك تفتح مجالاً خاصاً ببحث نشأة وتطور منهج الكتابة التاريخية لدى المؤرخ من خلال تجاربه الشخصية ومشاهداته العيانية، وهو ما يتضح بصورة جلية في شخصية ابن حَيَّان كمؤرخ حيث وصل إلى درجة عالية من النضج في معالجة المجتمع الأندلسي وإبراز سماته وميزاته وعيوبه ونقائصه، ويجد الباحث كم وفير من المواد النقدية في ثنايا كتاباته. وقد حاول الباحث دراسة شخصيته كمؤرخ انطلاقاً من رؤية علمية، ومعايير موضوعية قدر المستطاع ولا يتأتى ذلك إلا من خلال رصد الإطار السياسي والاقتصادي والاجتماعي للمجتمع الأندلس في القرن الرابع الهجري (١١ م).

وبعد الانتهاء من هذا العمل عزمت على أن أرد الفضل لأهله، وأن أسجل اعترافي بالجميل لأستاذي العالم الجليل الأستاذ الدكتور **محمود إسماعيل عبد الرازق** الذي كان لى بحق أبا علمياً ومرشداً أكاديمياً من طراز رفيع ، أخذني بحلمه ورحابة صدره وكانت توجيهاته وإرشاداته العلمية خير معين لى في تخطى عقبات البحث فكل عبارات الثناء لا توازي عطاءه، ولا كلمات الشكر تفيه حقه.

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذة **الدكتورة منى حسن محمود** وأستاذتي **الدكتورة محاسن محمد الوقاد** على ما تفضلتا به من قبول مناقشى فكان لى بذلك الفضل شرف وأي شرف.

كذلك أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى **الأستاذ الدكتور عبد المحسن طه رمضان**، ولست أنسى موقفه معي حين أمدني بصورة من المخطوط النادر لابن

حَيَّان، ولولاه لما استطعت أن أحصل عليه ليكون من أهم مصادر الدراسة فجزاه الله عنى خير الجزاء.

أما الصديق والأخ الدكتور **سند أحمد** فكان خير أمين ومعين لى في كل مراحل البحث وشاركنى في السراء والضراء فجزاه الله خير الجزاء. وشكر عميق من القلب ينبغى أن يوجه إلى الأخ والزميل الدكتور **خالد حسين** الذي أعاننى على فهم الكثير من أساسيات المنهج العلمى في الكتابة بخلق جميل ورحابة صدر.

كما لا أنسى ما حييت فضل أخى وصديقى **الأستاذ الدكتور محمد رفعت عبد العزيز** الذي كان وما يزال صاحب فضل كبير فله منى كل تقدير وإعزاز واحترام.

كما أتوجه بالشكر إلى **المسيو رونيه فانسان دو جرانلونيه** أمين مكتبة معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومنيكان بالقاهرة، وكنت أقضى أياماً في المكتبة العامرة بأمهات المصادر، وكان يقدم لى كنوزها التى من الصعب الحصول عليها بسهولة ويسر فله منى جزيل الشكر والتقدير.

وما دمت في إسناد الفضل لأهله، فإنه ينبغى أن أنوه بفضل أخى الكبير **الدكتور فاروق زناتي** الذي شجعنى على البحث والدراسة وقد كان دائما المثل الأعلى لى منذ طفولتى وكانت لمكتبته الشخصية أبلغ الأثر في عشقى للتاريخ.

كما يرجع الفضل الأعظم في إنجاز ذلك العمل يعود إلى ابنى خالد الذي على صغر سنه كان يعيش بين مئات الكتب القديمة والحديثة، ورغم ذلك لم يقطع ورقة واحدة منها على عكس ما عهدنا من أقرانه فله ولوالدته - التى عانت أكثر مما عنيت - الشكر والتقدير والاحترام.

كما أدين بالفضل للمئات من الباحثين والدارسين والمحققين والأعلام الذين أثروا المكتبة الأندلسية بالعديد من الكتب والدراسات الجادة التى نفخر بها جميعاً وقد حاول كل منهم أن يستجلى ملمحاً من ملامح الحضارة الإسلامية الثرية في الأندلس.

وأخيراً لا يسعنى بعد ذلك إلا تقديم خالص الشكر مرة أخرى لكل من أعاننى على الاضطلاع بهذا العمل الذي لم أبتغ به بعد رضاء الله عز وجل إلا تجلية الصفحات المشرقة لتراثنا العربى الإسلامى الجليل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والله ولي التوفيق.